المؤثرات التربوية الإيجابية والسلبية
في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم)

إعـــــداد

د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الحيميد

أستاذ التربية الإسلامية المشارك

قسم التربية - كلية العلوم الاجتماعية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

مجلة بحوث التربية النوعية – جامعة المنصورة

العدد السابع عشر – مايو ٢٠١٠

المؤثرات التربوية الإيجابية والسلبية في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم)

إعـــداد

د . عبد العزيز بن عبد الرحمن المحيميد

الملخص

القـرآن الكـريم كتـاب الله المنـزل علـى رسـوله هدايـة للنـاس ومنهجـا للحيـاة ، وهـو شـفاء وموعظة ، وفيه تبيان كل ما يواجه الإنسان من معضلات أو مشكلات ؛ وهو مصدر للتربية الصحيحة ؛ يحدد أهدافها ، ويرسم معالمها ويوجه ممارساتها وأنشطتها ، ويسدد مسيرتها ، ويزكي ثمارها ؛ وموضوع هذه الدراسة حول سورة من سوره ؛ تلك هي سورة محمد ؛ تتأمل فيها وتتدبر معانيها وتبحث في مراميها ؛ ثم تتناول ما كتب حول تفسيرها بشيء من التحليل بهدف استخراج ما تتضمنه السورة مما يتعلق بالتربية والتعليم ؛ وهو ما تجيب به هذه الدراسة عن الأسئلة المتعلقة بما تحويه السورة من مؤثرات تربوية ؛ إيجابية أو سلبية ، وكذلك ما تحويه السورة من تحذير من المعوقات الذاتية أو الخارجية ؛ ومن خلال البحث و التحليل المتأني توصل الباحث إلى تحديد عدد من المؤثرات الإيجابية في السورة (ومنها ما يتعلق بالثواب الدنيوي والأخروي) وعدد من المؤثرات السلبية المنطوية على الردع والزجر في السورة (ومنها ما يتعلق بالعقاب الدنيوي والأخروي) ؛ وكذلك تحديد عدد من المعوقات أو المثبطات الذاتية والخارجية التي تعوق الإنسان عن الإنجاز وفعل الخير .

المؤثرات التربوية الإيجابية والسلبية في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم)

إعـــداد

د . عبد العزيز بن عبد الرحمن الحميد

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين الذي بعث رسوله بالهدى والنور المبين وسمى باسمه سورة من أعظم سور القرآن الكريم ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، المبعوث رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فإن القرآن العظيم هو المنبع الذي لا ينضب لإصلاح النفوس والقلوب ، وبصلاح القلوب تصلح القوالب والأحوال والأبدان ، وهو النور الذي يضئ الدروب ، وهو الهدى والرحمة والذكر والبيان ، والموعظة والشفاء ، والطمأنينة والرشاد ؛ والله سبحانه وتعالى يقول : (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) [الإسراء : ٩] ، ويقول : (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا) [الإسراء : ٨٢] ، ويقول : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) [يونس : ٥٧] ، ويقول : (.. وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) [النحل : ٨٩] ، ويقول : (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [الشورى : ٥٢] ، ويقول : (هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) [الجاثية : ٢٠]

وهذه الآيات _ وغيرها كثير _ توضح أن كتاب الله هو الهدى والنور والحق والموعظة والشفاء ، وهو مصدر التربية السليمة للنفوس والمجتمعات ؛ وقد تضمنت سور عديدة في القرآن حقائق تربوية ، ومؤثرات إيجابية ، وأساليب ومضامين تربوية في غاية الأهمية يحتاجها المربون ، والدعاة والمصلحون ، وأطباء النفوس والأبدان ، ويحتاجها المتربون والأشخاص العاديون ، وغيرهم ممن يروم تربية نفسه أو غيره ، وهذه المواضع من الكثرة بحيث لا يحيط بها بحث عادي ؛ وإنما تحتاج إلى موسوعة شاملة يتضافر على معالجتها وإعدادها مجموعة من الباحثين الجادين ، وحينما يتأمل القارئ لكتاب الله ما يقرأ يجد فيه مما يتعلق بالتربية وشؤونها وشجونها ما يحير عقله ؛ فيحتار فيما يختار ؛ هل يختار هذه الآيات أو تلك ؛ أو هذه السورة أو تلك ، وقد وقع الاختيار هذه المرة على سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) ففيها مما سبقت الإشارة إليه الشيء الكثير ؛ فموضوع السورة الرئيس وموضوعاتها الأخرى كلها فيها ما يمس شغاف القلوب ويحرك أشجان النفوس ويخاطب الأذهان والعقول بشتى المؤثرات التربوية المتنوعة .

وانطلاقا من ذلك كله فإن موضوع هذه الدراسة هو المؤثرات التربوية الإيجابية والسلبية ، وكذلك معوقات السلوك في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) .

مشكلة الدراسة :

تتعلق مشكلة الدراسة بالإجابة عن السؤال الرئيس حول ما تتضمنه سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) من مؤثرات تربوية إيجابية أو سلبية (زواجر وروادع) ، وما تتضمنه كذلك من عوامل (معوقات) تعوق الفرد عن الإنجاز والعمل الصالح له ولمجتمعه ؛ ويمكن تفريع هذا السؤال إلى الأسئلة الفرعية التالية :

١ - ما المؤثرات التربوية الإيجابية في سورة محمد ؟ .
٢ - ما المؤثرات التربوية السلبية في سورة محمد ؟ .
٣ - ما المعوقات التي تعوق الأفراد عن فعل الخير والعمل الصالح المذكورة في سورة محمد ؟ .

أهداف الدراسة :

تتمثل أهداف الدراسة في الكشف عن المؤثرات التربوية الإيجابية والسلبية ومعوقات السلوك في سورة محمد ، والمساهمة في تبيان المنهج التربوي في القرآن الكريم ، وتقديم جهد بحثي في هذا المجال مشاركة للباحثين فيه ، وتشجيعا للباحثين الآخرين على الاتجاه نحو الدراسات التربوية القرآنية ، وكذلك الدراسات المتعلقة ببيان الهدي النبوي في ميدان التربية

أهمية الدراسة :

تنبثق أهمية الدراسة من أهمية موضوعها ذاته ؛ فهي تهدف إلى استجلاء بعض المضامين التربوية المتعلقة بالتأثير التربوي في النفوس في سورة عظيمة من سور القرآن ؛ وكل القرآن عظيم ؛ وهذه السورة احتوت على كثير من المفاهيم والحقائق التربوية ذات الأهمية البالغة ؛ ولذلك فإن دراسة هذه الحقائق وإبرازها من خلال هذه السورة العظيمة له أهمية بحثية وعلمية كبيرة .

مصطلحات الدراسة :

- **التربية :**

التربية المقصودة في هذه الدراسة هي التربية الإسلامية ؛ وهي كما يعرفها صالح أحمد الشامي : " عملية تقويم وتوجيه لسلوك الإنسان هدفها تطبيق المنهج الإلهي بالاستعانة بالوسائل والطرق التي حددها - أو أقرها - المنهج نفسه " (الشامي ١٤٠٨ هـ ، ص ١٢) . وما بين الشرطتين من تصرف الباحث .

- **المضمون التربوي :**

هو ما تتضمنه سورة محمد وتحتويه من مؤثرات ومفاهيم وحقائق وتوجيهات تربوية نظرية وتطبيقية .

- **الحوافز :**

هي محرضات السلوك التي تحض على الاستقامة والصلاح والقيام بالواجبات وتبعث على فعل الخير والإحسان والعدل والتفاني في العلم والعمل والإنتاج ونشر الفضيلة ، وتباعد بين الفرد وبين الانحراف والإهمال والتواني والقعود .

- **المؤثرات التربوية الإيجابية** :

هي حوافز ومحرضات للسلوك تعتمد على جذب الفرد نحو الفعل المرغوب (وترك الفعل المذموم) عن طريق الترغيب والتشجيع .

- **المؤثرات التربوية السلبية** :

هي روادع وزواجر تعتمد على تنفير الفرد عن الفعل المذموم (أو ترك الفعل المرغوب) عن طريق الردع والزجر .

- **المعوقات** :

هي ما يعوق الفرد عن فعل الخير ؛ سواء كانت معوقا خارجيا أو معوقا ذاتيا نفسيا (مثبطات) .

- **سورة محمد** :

هي السورة المعروفة بهذا الاسم ، والمعروفة كذلك باسم سورة القتال .

- **منهج الدراسة** :

منهج البحث في هذه الدراسة منهج وصفي تحليلي ؛ وذلك من خلال وصف وتحليل النصوص المتعلقة بموضوع الدراسة ؛ مثل أقوال المفسرين حول الآيات ومعانيها ومقاصدها ، وذلك لمحاولة استخلاص المضامين التربوية التي تحتوي عليها السورة موضوع الدراسة .

الدراسات السابقة :

التربية في القرآن الكريم كانت ولا زالت محل اهتمام كثير من الباحثين والعلماء ؛ كما أن بعض المفسرين اعتنوا بالجانب التربوي في تفاسيرهم للقرآن ؛ ومنهم مثلا الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " ففي مواضع عديدة يقف فيها وقفات تربوية يتطرق من خلالها إلى بعض الحقائق التربوية والعلمية والتعليمية ، ومنها مثلا استنباطه لكثير من الحقائق التربوية أثناء تعرضه لقصة موسى مع الخضر في سورة الكهف ، ومواضع أخرى . وكذلك بعض المفسرين من المتقدمين والمعاصرين الذين اعتنوا بهذا الجانب .

وبالإضافة إلى كتب التفسير هناك من الباحثين والعلماء من خصوا الجانب التربوي في القرآن الكريم بدراسات خاصة ؛ ومن ذلك علي عبد الحليم محمود في كتابه التربية في القرآن الكريم ؛ وقد خصص بعض السور بدراسات تربوية خاصة بكل سورة منها ؛ مثل التربية في سورة المائدة ، وسورة النور ، وسورة آل عمران ، والأحزاب والأنفال والتوبة والنساء ، وقد حدد هدفه من هذا التفسير التربوي – كما سماه – بقوله : " استلهام ما تهدي إليه آيات القرآن الكريم من قيم تربوية توجهنا إلى حياة إنسانية كريمة تحفظ فيها الحقوق وتؤدى الواجبات وتقوم على الشورى والعدل ، وتستهدف

صالح الإنسان في دنياه وآخرته " ، وقد سلك في بحثه خطوات منهجية تمثلت في عرض موجز للموضوعات التربوية في كل سورة ، وإلقاء الضوء على معاني الآيات وما تتضمنه من تأثير في روح الإنسان وعقله وبدنه ، واستنباط المواقف التربوية التي تستفاد من الآية أو السورة ، ومحاولة التركيز على الجانب التربوي التطبيقي لهذه السورة في واقع الحياة وواقع الدعوة الإسلامية .

هذا محور عام في الدراسات السابقة لهذا البحث وهناك محور آخر يتخذ من البحث الموضوعي التربوي الخاص في القرآن غاية له وهدفا ؛ وذلك مثل دراسة أحمد محمد المقري تربية النفس الإنسانية في ظل القرآن الكريم ؛ وهي رسالة ماجستير تقدم بها إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة الملك عبد العزيز (سابقا) جامعة أم القرى (حاليا) ، وتعرض من خلال أبوابها الثلاثة إلى موضوعات تربوية ؛ مثل مفهوم التربية في القرآن ، والنفس الإنسانية ، والإنسان والخلافة ، والإنسان والغريزة ، والإسلام دين الفطرة والتربية في الإسلام ، والتربيات الجاهلية قديما وحديثا ، ودور القرآن في تربية النفس ، والعبادة وآثارها التربوية ، والتربية الأخلاقية ، وقد طرق من خلال ذلك تفصيلات عديدة.

وكذلك **دراسة عبد الرحمن النحلاوي " التربية بالآيات "** ؛ وهي دراسة مركزة حول التربية بالآيات ، وهي آيات الله في الآفاق وفي الأنفس ؛ مثل الآيات الكونية وآيات الخلق ، وآيات أو دلالات قدرة الله ، والآية – في هذه الدراسة – يقصد بها الدلالة والبرهان على قدرة الله ووحدانيته ؛ وهي دراسة حول أسلوب من أساليب القرآن في التربية ؛ إذ إنها تتعرض للتربية بالآيات في الأنفس والآفاق من خلال عرض القرآن لهذه الآيات وتنبيهه إلى ما فيها من دلائل وبراهين على وحدانية الله وقدرته جل وعلا .

وهناك **دراسة متخصصة بعنوان " أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم "** وهي رسالة جامعية أعدها الحسين جرنو محمود جلو ونال بها درجة الماجستير في التربية ؛ وهي دراسة عميقة تطرق فيها الباحث إلى أهداف القرآن وأساليبه في ضبط السلوك ، وإلى مدى توافر أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم ، ومسوغات توافر الثواب والعقاب في القرآن ، مع أنواع أساليب ضبط السلوك فيه ، وتصنيف هذه الأساليب وأسسها ، وغير ذلك ، ولهذه الدراسة بعد إحصائي أضفى عليها طابع الدقة في نتائجها والجدة في مضمونها مع ما تعرض له الباحث من عمق نظري تأصيلي ، وتضمن الجانب الإحصائي إيضاح نسب كل من الترغيب والترهيب ومعدل توزيع كل منهما في القرآن عموما ، ونسبة وجود كل منهما في القرآن المدني والمكي ، ونسبتهما في كل سورة ، ونسبة توزيع أنواع الترغيب والترهيب في القرآن ، وما إلى ذلك من تفصيلات إحصائية مفيدة .

مناقشة الدراسات السابقة :

من خلال هذا الاستعراض يتبين أن هذه الدراسات تطرقت إلى موضوع التربية في القرآن بمعناه الشامل الذي لا يركز على جانب تربوي دون غيره ؛ هذا بشكل عام ؛ وإن كان هناك ميل في بعضها نحو التحول إلى موضوعات فرعية ؛ وهذا التحول اتخذ مسارين ؛ الأول : اختيار سورة من السور مثلا ودراستها من ناحية تربوية ، وتكون هذه الدراسة شاملة لكل ما يتعلق بالتربية مما تتضمنه

السورة ، ومن الدراسات التي تندرج تحت هذا المسار دراسة علي عبد الحليم محمود التربية في القرآن الكريم ؛ حيث إنه اختار سورا بعينها وبحثها بحثا تربويا . والثاني : اختيار موضوع تربوي ودراسته في القرآن كله ، أو في سورة من السور ، ومن هذا القبيل دراسة المقري تربية النفس الإنسانية في ظل القرآن الكريم ، ودراسة النحلاوي التربية بالآيات ودراسة الحسين جرنو محمود جلو أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم .

وهذه الدراسات الرائدة في موضوع التربية في القرآن تمثل نماذج جيدة للسير على نهجها ، وموضوع الدراسة المقترحة حول المؤثرات التربوية الإيجابية والسلبية في سورة محمد لم يتطرق له أي من هذه الدراسات ولا غيرها – على حد علم الباحث – وهي موضوع هذا البحث بعون الله وتوفيقه .

التربية في سورة محمد صلى الله عليه وسلم

السورة وموضوعها :

السورة هي سورة محمد ؛ وتسمى سورة القتال ؛ وهي سورة مدنية كما قال بذلك الأكثرون من العلماء ؛ إلا آية منها وهي قوله تعالى : (وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ) [محمد : ١٣] ؛ فقد نزلت عليه وهو بمكة حين خرج منها بعد حجه وجعل يلتفت وينظر إلى البيت ، وقيل إن السورة مكية . (الشنقيطي ، ١٤٠٣ هـ ، ج ٧ ، ص ٣٩٥).

ويتبين من موضوع السورة أنها مدنية ؛ وموضوع السورة هو القتال ؛ وقد سميت بسورة القتال ؛ فهو موضوعها الرئيس ؛ وبالإضافة إلى ذلك تضمنت موضوعات أخرى ؛ مثل جزاء الكفار وجزاء المؤمنين ، وحكم الأسرى ، وفضل الشهداء وأجرهم عند الله ، ووصف نعيم الجنة وعذاب النار ، والنفاق وصفات المنافقين وأحوالهم عند تلقيهم الأمر بالقتال ، والفرق بين القلوب المريضة بالنفاق والقلوب المؤمنة المتدبرة لكتاب الله ، مع بيان حال الدنيا والتزهيد فيها بالنسبة للحياة الآخرة ، والسورة ثمان وثلاثون آية في أربعة أوجه ؛ أي ورقتين ، ومع ذلك فقد حوت كثيرا من المضامين التربوية ؛ وفيما يلي نورد من هذه المضامين ما يتعلق بالإجابة عن أسئلة الدراسة تحت عناوينها المناسبة بإذن الله .

أولا : المؤثرات التربوية الإيجابية :

يقصد بالمؤثرات الإيجابية – هنا – كل ما يؤدي إلى نتيجة إيجابية في السلوك ؛ سواء كانت فعلا للسلوك المرغوب ، أو كفا وامتناعا عن سلوك مذموم ، وهو في الحالين نتيجة إيجابية ؛ فما يؤدي إليها هو مؤثر إيجابي بحكم ما يؤدي إليه من أثر تربوي مرغوب ، وهي حوافز إيجابية تحفز على الفعل الإيجابي ؛ بحيث يتحرك الإنسان إلى فعله بدافع الأمل والرغبة في الحصول على العاقبة السارة ؛ سواء كانت عاجلة كالجوائز والمكافآت أو الثناء مثلا ؛ أو آجلة كالنعيم المدخر في الآخرة لمن يفعلون الخير رغبة فيما عند الله من الثواب والأجر ؛ والقرآن الكريم مليء بهذا النوع من الحوافز ، وفي سورة محمد من ذلك نصيب ؛ وهو ما سوف نذكره فيما يأتي :

١- الإيمان :

الإيمان هو أقوى الحوافز التربوية الإسلامية ؛ وهو أقوى الحوافز الذاتية ؛ حيث يندفع المؤمن ذاتيا - بفعل الإيمان الذي تنطوي عليه جوانحه – إلى القيام بصنوف شتى من الأفعال الإيجابية المرغوبة ؛ وهو أول الحوافز ذكرا في السورة ؛ فبعد أن ابتدأ تعالى السورة بذكر الذين كفروا قال في الآية الثانية : (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) [محمد : ٢] فذكر الذين آمنوا تمييزا لهم بإيمانهم عن الذين كفروا ؛ ثم تستمر الآيات في بيان تميزهم في أعمالهم وسلوكهم وما يستتبع ذلك من جزاء دنيوي أو أخروي ، وكل ذلك بناء على ما ميزهم عن غيرهم أولا ؛ وهو " الإيمان " وما ارتبط به أو نتج عنه من عمل صالح (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) ؛ ثم تستمر السورة في التمييز بين المؤمنين أيضا وبين المنافقين ، وهو تميز مرده كذلك إلى الإيمان الذي يوجد عند هؤلاء وينعدم أو يضعف عند أولئك ، وقد ارتبط ذكر الإيمان بالعمل الصالح في الآية الثانية وفي الآية الثانية عشر ؛ كما ارتبط به فيما يزيد على الستين موضعا في القرآن الكريم ؛ فالإيمان هو الأصل والعمل الصالح هو النتيجة المنبثقة عن ذلك الأصل ، والإيمان هو الحافز ، والعمل الصالح هو الثمرة المحفوزة بالإيمان .

٢ - النداء بصفة الإيمان :

من الحوافز الإيجابية المنطوية على التشويق والتشجيع الخطاب المحبب إلى النفوس المؤمنة من لدن الخالق الباري جل وعلا بقوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) ، وهذا الخطاب يتوجه للمؤمنين بأهم صفة يتميزون بها عن غيرهم ؛ وهي صفة الإيمان الذي تنطوي عليه جوانحهم وهذا الخطاب كثير في القرآن ؛ حتى إن الباحث عدَ ما يقرب من تسعين موضعا في القرآن فيها هذا النداء للمؤمنين بصفة الإيمان فيهم ، ولأنه نداء محبب يذكِر المنادى بصفة الإيمان فيه فإن نفسه تتهيأ لما بعد هذا النداء من أمر أو نهي أو توجيه أو تحذير أو حث أو تحفيز أو ما إلى ذلك ؛ فيفعل هذا النداء فعله في النفوس ؛ وسورة محمد ورد فيها هذا النداء في موضعين ؛ هما قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [محمد : ٧] ، وقوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) [محمد : ٣٣] وهاتان الآيتان مع ما فيهما من النداء المحبب فيهما رأفة الله سبحانه وتعالى بعباده المؤمنين ، وتوجيهه لهم إلى أسباب النصر وتثبيت الأقدام وإلى الطاعة والحرص على سلامة الأعمال مما يبطلها ؛ وهذا يبعث في نفوس المؤمنين الإحساس بقربهم من ربهم وقرب ربهم منهم ورأفته ورحمته بهم ؛ فيكون لهذا الإحساس مردوده النفسي عليهم طمأنينة وراحة فينطلقون إلى العمل وفق هذا التوجيه ؛ فالنداء وما ينطوي عليه من توجيه مشوب بالرحمة والرأفة حافز إيجابي للنفوس المؤمنة .

وإن مما يلفت النظر في القرآن الكريم أنه لا يوجد فيه مثل هذا الخطاب متوجها من الله للكافرين ؛ يوجد – على حد علم الباحث – موضع واحد فقط بصيغة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) [التحريم : ٧] وهو خطاب توبيخ من الملائكة يخاطب به

الكفار بعد دخولهم النار على سبيل التوبيخ واللوم وعدم قبول عذرهم ؛ فحالهم أنهم بعداء عن الله لا يستحقون منه خطابا مباشراً .

٣ – اتباع الحق :

اتباع الحق يحفز إلى المزيد من المعرفة والعلم والتبصر ؛ وقد نوّه سبحانه وتعالى بفضل ذلك وأهميته في تسديد مسار حياة المؤمنين بقوله : (ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ) [محمد : ٣] ؛ فاتباع الحق ابتداءً يؤدي إلى الوصول إليه في نهاية المطاف ، ويؤدي إلى مزيد من العلم النافع الذي يكون نبراسا للمرء في أعماله وأقواله وسلوكه عامة ؛ يسدد به مساره ويحفظه به من الزيغ والضلال ، واتباع الحق في مجال العقيدة والعلم يشبه في هذا تأثير الطاعة والعمل الصالح في حفزها إلى طاعة أخرى ؛ كما ستبين من الفقرة التالية .

٤ – العمل الصالح :

العمل الصالح يحفز – بتوفيق الله – إلى نظيره ؛ كما قال سبحانه : (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) [محمد : ١٧] ، وقد ذكر المفسرون حول معناها أن الذين اهتدوا هم ابتداءً بأن حرصوا على الهداية وبحثوا عنها وسعوا إليها وصدقوا في ذلك فإن الله يوفقهم إليها ويزيدهم منها ، ولهذه الآية نظائر أخرى ؛ كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) [الأنفال : ٢٩] ، وقوله : (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ) [الشورى : ١٣] ، وغيرها من الآيات .

يقول ابن القيم رحمه الله : " إن العبد إذا آمن بالكتاب واهتدى به مجملا وقبل أوامره وصدق بأخباره كان ذلك سببا لهداية أخرى تحصل له على التفصيل ؛ فإن الهداية لا نهاية لها ولو بلغ العبد فيها ما بلغ ، ففوق هدايته هداية أخرى ، وفوق تلك الهداية هداية أخرى إلى غير غاية ؛ فكلما اتقى العبد ربه ارتقى إلى هداية أخرى ، فهو في مزيد هداية ما دام في مزيد من التقوى ، وكلما فوت حظا من التقوى فاته حظ من الهداية بحسبه ، فكلما اتقى زاد هداه ، وكلما اهتدى زادت تقواه ؛ قال تعالى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [المائدة : ١٥ ، ١٦] " (ابن القيم ، د ت ، ص ١١٦) .

٥ – التقوى :

التقوى حافز من ناحيتين ؛ الأولى : أنها رادع عن الوقوع في المعصية أو التهاون في الطاعة اتقاءً لما يترتب على ذلك من العقاب ؛ كما يتبين من تعريفاتها ؛ يقول ابن القيم : " وأما التقوى فحقيقتها العمل بطاعة الله إيمانا واحتسابا ، أمرا ونهيا ؛ فيفعل ما أمر الله به إيمانا بالأمر وتصديقا

بوعده ، ويترك ما نهى الله عنه إيمانا بالنهي وخوفا من وعيده " وقال طلق بن حبيب لما سئل : وما التقوى ؟ قال : " أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ، ترجوا ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله " (ابن القيم ، ١٤٠٦ هـ ، ص ٨) .

الثانية : أنها مكافأة من الله لمن صدق في طلبه للهداية من ربه ؛ والمكافآت حوافز ، يقول تعالى : (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) [محمد : ١٧] ، (وآتاهم تقواهم) ؛ أي : " ألهمهم إياها وأعانهم عليها " (الشوكاني ، ١٤١٢ هـ ، ج ٥ ، ص ٥١) ، ويقول سيد قطب : " وترتيب الوقائع في الآية يستوقف النظر ؛ فالذين اهتدوا بدأوا هم بالاهتداء فكافأهم الله بزيادة الهدى وكافأهم بما هو أعمق وأكمل : (وآتاهم تقواهم) ؛ والتقوى حالة في القلب تجعله أبداً واجفاً من هيبة الله شاعراً برقابته ، خائفاً من غضبه ، متطلعاً إلى رضاه ، متحرجاً من أن يراه الله على هيئة أو في حالة لا يرضاها ؛ هذه الحساسية المرهفة هي التقوى .. وهي مكافأة يؤتيها الله من يشاء من عباده حين يهتدون هم ويرغبون في الوصول إلى رضى الله " (قطب ، ١٣٩٤ هـ ، ج ٦ ، ص ٣٢٩٤) .

٦ – الشهادة في سبيل الله :

الشهادة في سبيل الله شرف عظيم من ناله نال سعادة الدهر ؛ وذلك بسبب ما يترتب عليها من الميزات التي أعدها الله للشهداء في سبيله ؛ وفي السورة تحفيز بالشهادة وبما يترتب عليها من جزاء وثواب ؛ يقول تعالى : (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ. سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ . وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ) [محمد : ٤ – ٦] .

وقد تضمنت الآيات بعض ما يكافؤ الله به الشهيد ، وفضل الشهادة ومكانتها عند الله ورد بشأنه أحاديث كثيرة ؛ نكتفي منها بذكر حديث واحد ذكره ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الآية ؛ وهو مما أخرجه الإمام أحمد بسنده عن المقدام بن معدي كرب الكندي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن للشهيد عند الله ست خصال ؛ أن يغفر له في أول دفقة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويحلى حلة الإيمان ، ويزوج من الحور العين ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار مرصع بالدر والياقوت ، والياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع في سبعين إنسانا من أقاربه " ؛ قال ابن كثير : أخرجه الترمذي وصححه وابن ماجه " (ابن كثير ، ١٤٢١ هـ ، ص ١٢٦٢) . إن كل خصلة من هذه الخصال حافز ذاتي قوي ؛ والشهادة بهذه الخصال والميزات العظيمة تصبح حافزا مركبا تحفز على الإقدام والبذل والجهاد والإيثاروالتضحية .

٧ – الثواب الدنيوي العاجل :

رتب الله تعالى على التمسك بشريعته والجهاد في سبيله والعمل بطاعته ثواباً دنيوياً عاجلاً يحصل عليه عباده حينما يقومون بذلك ؛ وهذا الثواب حافز مقدم لهم - في هذه الدار – لمعرفتهم بأن الله يجازي به ويتفضل به على عباده المؤمنين ؛ وهو حافز لهم بعد الأداء العملي لهذه الطاعات بما

يجعله الله في النفوس من سعادة وطمأنينة وانتصار وازدياد من الهدى والرسوخ واليقين بعد أدائها ؛ وفيما يلي أهم ما تضمنته السورة من الثواب العاجل :

إصلاح البال ؛ كما في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) [محمد : ٢] ، و " أصلح بالهم " كما يقول ابن جرير : " وأصلح شأنهم وحالهم في الدنيا عند أوليائه وفي الآخرة بأن أورثهم نعيم الأبد والخلود الدائم في جناته " (الطبري ، ١٤٠٨ هـ ، ج ٢٦ ، ص ٣٩]

نصر الله للمؤمنين وتثبيت أقدامهم إن هم نصروه ؛ فهو نصر مشروط ؛ ولذلك فإن الوعد به في هذه السورة يحفز المؤمنين إلى استيفاء الشروط حتى يكونوا أهلا للنصر ؛ فالنصر ذاته والوعد به أيضا كلها حوافز للسلوك ، و " النصر" أيضا هو جزاء عاجل للمؤمنين إن هم استوفوا هذه الشروط في حياتهم و واقعهم وإخلاصهم وعملهم وجهادهم ؛ حيث يقول تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [محمد : ٧] .

كما أنه تعالى ينصر من نصره فهو يزيد المهتدين إليه هدى ويملأ قلوبهم خشية وتقوى ، وهو من ثوابه العاجل ، وقد سبق بيان ذلك .

معية الله لعباده المؤمنين بالتوفيق والتسديد والإعانة والرعاية ، وتوفيته لهم ثواب أعمالهم كاملا غير منقوص ، وإشعارهم بذلك في كتابه تطميناً لهم وحثاً ورفعاً لمستوى الاستعداد لديهم للجهاد في سبيله ؛ وهذه كلها حوافز تفعل فعلها في نفوس المؤمنين ؛ يقول سبحانه : (فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) [محمد : ٣٥] .

وفي معرض تفسيره للآية بين الشيخ السعدي رحمه الله ما تشتمل عليه الآية من حوافز لها أبلغ الأثر في بعث النشاط وتقوية النفوس ؛ يقول رحمه الله : " فهذه الأمور الثلاثة كل منها مقتض للصبر وعدم الوهن كونهم الأعلين ، أي قد توفرت لهم أسباب النصر ، ووعدوا من الله بالوعد الصادق ، فإن الإنسان لا يهن إلا إذا كان أذل من غيره وأضعف عدداً وعُدداً وقوة داخلية وخارجية . الثاني : أن الله معهم فإنهم مؤمنون والله مع المؤمنين بالعون والنصر والتأييد ، وذلك موجب لقوة قلوبهم وإقدامهم على عدوهم . الثالث : أن الله لا ينقصهم من أعمالهم شيئا ، بل سيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ، خصوصا عبادة الجهاد ، فإن النفقة تضاعف فيه إلى سبع مائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة ، وقال تعالى : (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ . وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) [التوبة : ١٢٠ ، ١٢١] .

فإذا عرف الإنسان أن الله تعالى لا يضيع عمله وجهاده ، أوجب له ذلك النشاط وبذل الجهد فيما يترتب عليه الأجر والثواب ، فكيف إذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة فإن ذلك يوجب النشاط التام

، فهذا من ترغيب الله لعباده وتنشيطهم وتقوية أنفسهم على ما فيه صلاحهم وفلاحهم . (السعدي ، ١٤٢١ هـ ، ص ٧٩٠) .

٨ – الثواب الأخروي :

تحظى الحوافز الأخروية في الإسلام بالأهمية القصوى ؛ لأن الآخرة هي دار القرار والخلود ، وفي هذه السورة تركيز واضح على الثواب الأخروي بصفته حافزاً للسلوك ؛ ومن ذلك :

تكفير السيئات ؛ وهذا في حد ذاته مكافأة ربانية لعباده المؤمنين ؛ إذ أن الصفح عنهم وتكفير سيئاتهم يعفيهم مما يترتب عليها من عقاب أخروي ؛ يقول تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) [محمد : ٢] .

ومع تكفير السيئات المغفرة من الله لهم أيضاً ؛ كما في قوله تعالى : (مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) [محمد : ١٥] .

إيتاء المؤمنين المتقين أجورهم مكافأة لهم على إيمانهم وتقواهم ؛ وهذا الإيتاء إنما هو ثواب أخروي ؛ فهو من الحوافز الأخروية ؛ يقول تعالى : (إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ) [محمد : ٣٦] .

الجنة ؛ وهي الحافز الأكبر الذي يشتمل على حوافز أخرى متنوعة ، وتتعدد هذه الحوافز بحسب ما في الجنة من أنواع النعيم واللذات والمتع النفسية والبدنية التي يثيب الله بها عباده ؛ فقد ذكرها تعالى بصفتها مكافأة للشهداء بقوله : (وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ) [محمد : ٦] ، ثم ذكرها تعالى في الآية الثانية عشر بقوله : (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ) [محمد : ١٢] ، وفي الآية الخامسة عشر ذكرها تعالى مفصلاً لأنواع الأنهار والثمار التي أعدها في الجنة للمتقين مقارنا لها بالخلود في النار وما فيها من أنواع العذاب ؛ يقول تعالى : (مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) [محمد : ١٥] .

ثانيا : المؤثرات التربوية السلبية (الروادع والزواجر) :

وهي تلك المؤثرات السلبية التي تملي على الفرد اتخاذ موقف سلبي يتمثل في الكف عن الفعل الشائن ؛ وهذا الموقف السلبي مرغوب لأنه يعني التوقف عن التصرفات الضارة والسلوكيات المنحرفة والذنوب والآثام بدافع الخوف والرهبة اتقاءً للعاقبة السيئة ؛ سواءً كانت عاجلة كالعقوبات الدنيوية ؛ عقوبات الحدود والقصاص والتعزير أو العقوبات التربوية كالضرب والتوبيخ والذم أو الجزاءات والغرامات ، وما إليها ؛ أو كانت آجلة كالعقوبات الأخروية المتمثلة فيما أعد الله

للعصاة من عقوبات متنوعة ؛ فهي روادع وزواجر تردع عن المضي في السلوك السيء وتزجر عنه ؛ وفيما يلي سنعرض لما في هذه السورة من مؤثرات سلبية في طبيعتها ؛ ولكنها إيجابية من حيث النتيجة المرغوبة التي تؤدي إليها ؛ وهي :

١- علم الله المحيط بعباده :

إن أسماء الله وصفاته عموماً تؤثر في المؤمنين بها ؛ فصفة الرحمة والرأفة مثلا تقوي رجاء عباده في عفوه ، وصفة المغفرة تطمعهم في مغفرته ، وصفة العزيز الجبار تخيفهم من عقوبته وانتقامه ، وهكذا ؛ وفي سورة محمد صلى الله عليه وسلم كما في سور أخرى تكرار لذكر صفة علم الله وإحاطته بعباده ، وهذا له ثمرة تربوية تحفيزية لا تخفى ؛ ومن ذلك قوله تعالى : (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ) [محمد : ١٩]، وقوله : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ) [محمد : ٢٦] ، وقوله : (وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ) [محمد : ٣٠] ، وقوله : (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) [محمد : ٣١] . إن علم الله الشامل للإنسان وما يحيط به ، وما يصدر عنه ، وما يفكر به وما يخفيه في سويداء قلبه ، وما يكنه صدره ، وما يسر وما يبطن يجعل الإنسان مكشوفا لعلم الله من كافة النواحي لا يستره عنه شيء البتة ؛ مهما حاول التخفي والتستر لفعل المعصية ؛ فهو مكشوف غير مستور ، وعلم الله محيط به ؛ فإذا حل هذا الاعتقاد في القلب انبثق عنه شعور بالحياء من الله والخشية منه والخوف من عقابه ؛ فعلم الله زاجر للعبد عن المعصية ؛ فهو حافز سلبي من هذه الناحية ؛ أي أن المؤمن يكف عن المعصية ، والكف عنها موقف سلبي تجاه فعلها ؛ ولكن علم الله مؤثر إيجابي ؛ لأن هذا الكف مقصود ومطلوب ؛ ومع الخوف الذي يحدثه هذا العلم في نفس العبد فإنه كذلك يشعره بشيء من الأنس والاطمئنان ؛ فهو في رعاية الله ؛ وحول قوله تعالى : (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ) يقول سيد قطب : " .. وحيث .. يشعر القلب المؤمن بالطمأنينة وبالخوف جميعا ، الطمأنينة وهو في رعاية الله حيثما تقلب أو ثوى ، والخوف من هذا الموقف الذي يحيط به علم الله ويتعقبه في كل حالاته ويطلع على سره ونجواه ... إنها التربية ؛ التربية باليقظة الدائمة والحساسية المرهفة والتطلع والحذر والانتظار .. " (قطب ، ١٣٩٤ هـ ، ج ٦ ، ص ٣٢٩٦) .

٢- التوبيخ والإنكار :

ينكر تعالى في السورة على من أعرض عن تدبر آياته ؛ وذلك في قوله : (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) [محمد : ٢٤] ؛ فالهمزة في قوله : (أفلا يتدبرون) للإنكار ، وقوله : (أم على قلوب أقفالها) كما يقول الشنقيطي : أم بمعنى " بل ؛ فقد أنكر تعالى عليهم إعراضهم عن تدبر القرآن بأداة الإنكار التي هي الهمزة ، وبين أن قلوبهم عليها أقفال لا تنفتح لخير ولا لفهم قرآن " (الشنقيطي ، ١٤٠٣ هـ، ج ٧ ، ص ٤٢٨) ،ثم يقول : " ومعلوم أن كل من لم يشتغل بتدبر آيات هذا القرآن العظيم ؛ أي تصفحها وتفهمها وإدراك معانيها والعمل بها فإنه معرض عنها غير متدبر لها ، فيستحق الإنكار والتوبيخ المذكور في الآيات"(الشنقيطي ١٤٠٣ هـ ، ج ٧ ، ص ٤٢٩).

وهذا التوبيخ والإنكار على من أعرض عن كتاب الله وعن تدبر آياته قد ورد مثيل له في آيات أخرى في سور أخرى ؛ وهو أسلوب من أساليب الحفز التربوي التي تساق لإحداث استجابة سلبية مرغوبة تتمثل في الكف عن الفعل المستهجن المذموم هنا ، وهو الإعراض عن تدبر كتاب الله وهجرانه والانشغال بغيره عنه .

٣ – العقاب الدنيوي العاجل :

العقاب رادع ؛ والتهديد به رادع أيضاً ؛ وقد ورد في السورة التهديد للكافرين والمنافقين بعقوبات عاجلة في الدنيا قبل الآخرة ، وهذا التهديد فيه تذكير واعتبار ، وفيه تخويف للمخاطبين ؛ فيخاف منه من في قلبه شيء من الإيمان ، ويعرض عنه ولا يتأثر به من خلا قلبه من الإيمان وحلت به الأهواء والشبهات وتلاعبت به الشهوات ، والعقاب العاجل حافز ردعي على كل حال ؛ فهو من الحوافز السلبية ، ومن التهديد الوارد في السورة بالعقاب العاجل ما يلي :

قوله تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ) [محمد : ٨] ، قيل : (تعساً لهم) أي : مكروهاً لهم ، وقيل : بعداً لهم ، وقيل خزياً لهم ، وقيل شقاءً لهم ، وقيل : شتماً لهم ، وقيل : هلاكاً لهم ، وقيل : خيبةً لهم ، وقيل : قبحاً لهم ، وقيل : رغماً لهم ، وقيل : شراً لهم ، وقيل : شقوةً لهم . (الشوكاني ، ١٤١٢ هـ ، ج ٥ ، ص ٤٦) .

وقال ابن الجوزي : " قال الفراء : المعنى : فأتعسهم الله ، والدعاء يجري مجرى الأمر والنهي " . (ابن الجوزي ، ١٤٠٧ هـ ، ج ٧ ، ص ٣٩٩) .

قوله تعالى : (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا) [محمد : ١٠] ، قوله : (وللكافرين أمثالها) تهديد للكافرين بأمثال تلك العقوبات التدميرية التي دمَر الله بها على الأقوام السابقة ؛ كما يقول بذلك أهل التفسير .

قوله تعالى : (فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ) [محمد : ١٨] ، وفيها تهديد بمباغتة الساعة لهم ؛ وقد قرب قيامها وجاءت علاماتها .

قوله تعالى : (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ) [محمد : ٢٣] ، فيها تهديد باللعن والطرد من رحمة الله وسلب نعمة الاستماع للحق وإبصار دلائل الحق لكل من يعمل عمل هؤلاء الذين لعنهم الله وأصمهم وأعمى أبصارهم . (الشوكاني ، ١٤١٢ هـ ، ج ٥ ، ص ٥٥) .

قوله تعالى : (فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ) [محمد : ٢٧] هذا تهديد للمنافقين بأن موتهم سيكون عذاباً تضرب به وجوههم وأدبارهم من قبل الملائكة .

قوله تعالى : (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ) [محمد : ٢٩] ، فيها تهديد بفضح المنافقين وهتك أستارهم ونشر أحقادهم وضغائنهم ومؤامراتهم .

قوله تعالى : (هَاأَنتُمْ هَؤُلاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ)

[محمد : ٣٨] ، هذا تهديد بالإهلاك للمخاطبين إن ارتدوا وتولوا وأعرضوا عن هذا الدين وبأن يجيء الله بقوم غيرهم أفضل منهم . (الطبري ، ١٤٠٨ هـ ، ج ٢٦ ، ص ٦٦) . إن كل تهديد في هذه الآيات هو حافز في ذاته يتضمن قوة ردعية زجرية كافية لمن وفقه الله وألقى السمع وهو شهيد .

٤ – العقاب الأخروي :

العقاب الأخروي حافز رادع للنفس عن المضي في سلوكها المنحرف ؛ وأما الوعيد به فهو الأسلوب التربوي الذي يوظف العقاب من خلاله للتأثير التربوي الإيجابي كما سبق بيانه ؛ ومقتضى نصوص الوعيد أن الإثم أو المعصية يترتب عليه وقوع عقاب مناسب له سواءً كان كفراً أو نفاقاً أو كبيرةً من الكبائر ، أو صغيرة ، أو ما إلى ذلك ؛ كل ذنب بحسب وزنه وحجمه وتعلقه بحقوق الخالق ، أو حقوق المخلوق ، أو حقوق الخالق والمخلوق معاً ؛ ومن العقوبات الأخروية الزاجرة في سورة القتال ما يأتي :

- حبوط العمل ؛ وقد تكرر ذكره في السورة بصفته عقوبة لمن يؤدي أعمالاً نافعةً من غير أن يبني ذلك على قاعدة الإيمان والتوحيد الخالص ؛ فلا ينفعه عمله ذلك ؛ ففي الآية الأولى ذكر تعالى أنه أضلَ أعمال الذين كفروا ؛ ومعناه كما يقول ابن الجوزي : " أي أبطلها ولم يجعل لها ثواباً ، فكأنها لم تكن ، وقد كانوا يطعمون الطعام ويصلون الأرحام ويتصدقون ويفعلون ما يعتقدونه قربة " (ابن الجوزي ، ١٤٠٧ هـ ، ج ٧ ، ص ٣٩٦) .

  ثم تكرر ذكر المعنى بلفظ " وأضلَ أعمالهم " في الآية الثامنة ، وفي الآية التاسعة قال تعالى : (فأحبط أعمالهم) ، وفي الآية الثامنة والعشرين قال : (فأحبط أعمالهم) ثم قال في الآية الثانية والثلاثين : (وسيحبط أعمالهم) ؛ فحبوط العمل ومحقه جملة بحيث يأتي الكافر أو المنافق يوم القيامة صفر اليدين مما كان يظنه من أعمال الخير هو النتيجة الحتمية لمن لا يكون عمله في الدنيا مبنياً على أساس قوي من الإيمان بالله وتوحيده والإخلاص له جل وعلا .

- حرمانهم من مغفرة الله لهم جزاء كفرهم به ، وصدهم عن سبيله وإصرارهم على الكفر ؛ قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) [محمد : ٣٤] .

- القرار في النار والخلود فيها ، ومقاساة أنواع العذاب فيها ؛ يقول تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ) [محمد : ١٢] ويقول : (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) [محمد : ١٥] ، وهذا بعض ما ينتظرهم في الآخرة من عقاب ؛ خلود في النار ، وماء حميم يقطع الأمعاء من فرط حرارته ! إنه – ولا ريب – عقاب رادع زاجر لمن وفقه الله وهداه ، فاحتاط لمصيره ومنتهاه .

ثالثا : المعوقات :

يقصد بالمعوقات هنا ما يعوق الإنسان عن الخير وفعله ؛ سواءً كان معوقاً خارجياً أو معوقاً ذاتياً نفسياً ؛ وكما أن الإنسان يتحفز إلى فعل الخير بفعل حوافز خارجية أو ذاتية ؛ فكذلك العوامل التي تفت في عزيمة الإنسان وتقعده عن الخير بعضها عوامل مثبطة خارجة عن ذاته ، وبعضها الآخر مثبطات كامنة في نفسه ؛ والإنسان يحتاج إلى مجاهدة دائمة لنفسه حتى يتحرر من تأثير النوعين بقدر الإمكان ، وإذا حاول ذلك بصدق ومثابرة واجتهاد أعانه الله سبحانه وتعالى ؛ كما قال عز وجل : (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) [محمد : ١٧] ؛ ومن المعوقات التي وردت الإشارة إليها في هذه السورة ما يأتي :

١ - الشيطان :

الشيطان خلق ممحض لفعل الشر والإغراء به ؛ وهو من عالم الغيب الذي يعد الإيمان بوجوده مما هو معلوم من الدين بالضرورة ، وقد ورد التحذير من كيده في مواضع عديدة في كتاب الله ؛ ومنها ما أشار به سبحانه إلى تزيينه الكفر لبعض الناس وإغرائهم به فارتدوا بعد إيمانهم ؛ حيث يقول سبحانه : (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ) [محمد : ٢٥] ؛ وسوَل لهم ؛ كما يقول الشنقيطي : " أي زيَن لهم الكفر والارتداد عن الدين " ، وقال أيضاً : " سوَل لهم ؛ أي سهَل لهم الكفر والمعاصي وزيَن ذلك وحسَنه لهم " (الشنقيطي ، ١٤٠٣ هـ ، ج ٧ ، ص ٥٨٥ ، ٥٨٦) .

والشيطان في محاولته إغواء بني آدم مستمر على ذلك ؛ لا يكل ولا يمل ، ويجلب على الناس بخيله ورجله ويشاركهم في الأموال والأولاد ، ويعدهم وما يعدهم إلا غرورا ؛ كما أخبر عنه ربنا جل وعلا ، وهو لا يكتفي بأن يكون معوقاً للإنسان عن الخير ؛ فهو مع ذلك يزين له ويسهل له ارتكاب الشر والإثم والوقوع في المعصية والخروج من طاعة الله؛ بل الخروج على دين الله؛ وما دام هو مستمر في ذلك فالاعتصام بالله والاستعاذة به منه والحذر من كيده وإغوائه يجب أن يكون مستمراً كذلك.

٢ – شياطين الإنس :

والمقصود بهم أعداء الله الذين يحاربون دينه ويصدون عن الحق ؛ والله سبحانه وتعالى قد خلق الناس وفطرهم على معرفته والميل إلى توحيده والاعتراف بربوبيته ، وبعث إليهم رسله وأنزل شرائعه لدلالتهم عليه وتعريفهم بطريق عبادته على الوجه الذي يرضيه ؛ ولكن أعداء دينه من شياطين الإنس يعملون جاهدين في بث الشكوك والشبهات والإغراء بالشهوات ، وقصدهم صرف العباد عن عبادة ربهم ؛ يقول تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) [محمد : ٣٤] ، يقول السعدي رحمه الله تعالى في تفسيرها : (وصدوا) ؛ أي : صدوا الخلق (عن سبيل الله) " بتزهيدهم إياهم بالحق ، ودعوتهم إلى الباطل وتزيينه " (السعدي ، ١٤٢١ ، ص ٧٩٠) ؛ فهذا هو ديدنهم في كل زمان ومكان ؛ تتابعوا على ذلك أجيال بعد أجيال ، وقد تطورت أساليبهم وطرقهم في العصر الحديث بسبب تطور وسائل الاتصالات وتقنيات الإعلام وغيرها ؛ وكم ضاع بسبب

جهودهم من أناس ؛ وكم فسد بسببهم من نفوس وبيوت ومجتمعات ؛ فهم معوق عن الخير داع إلى الشر ؛ وقد حذرنا الله منهم ومن كيدهم في كتابه في مواضع منها هذه الآية .

٣ – اتباع الباطل :

كما أن اتباع الحق يجر إلى مزيد من الخير والعلم ؛ فكذلك اتباع الباطل يجر إلى مزيد من الضلال والزيغ ؛ كما قال تعالى : (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ . وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) [محمد : ١٦ ، ١٧] ، وهنا فرق بين الحالين والمآلين ؛ وكل مآل بحسب حال صاحبه ، وحال اتباع الهوى والباطل يناسبه مآل الطبع على القلب والضلال عن الحق ، والعكس كذلك ، وهذا المعنى الموجود في هذه السورة له نظائر في سور أخرى ؛ منها قوله سبحانه : (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) [الصف : ٥] ، وقوله عن المنافقين : (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [التوبة : ٦٧] ، وآيات أخرى ؛ وقد عقد الإمام ابن القيم رحمه الله فصلاً في كتابه الفوائد بعنوان : " فصل : الهداية تجر الهداية ، والضلال يجر الضلال " وقرَر هذين الأصلين وبيَنهما بياناً جلياً مستدلاً على كل منهما بآيات كثيرة . (ابن القيم ، د ت ، ص ١١٥ و ما بعدها) .

وما دام أن اتباع الباطل يجر إلى الضلال فهو عائق من العوائق التي تعوق عن معرفة الخير والوصول إليه ، ويعوق بالتالي عن فعل الخير والقيام به .

٤ – اتباع الهوى :

ورد اتباع الهوى في السورة في موضعين على سبيل الذم والعيب ؛ وهما قوله تعالى : (أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ) [محمد : ١٤] وقوله : (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ) [محمد : ١٦] ، وفي معناها يقول ابن الجوزي : (كمن زين له سوء عمله) يعني عبادة الأوثان وهو الكافر (واتبعوا أهواءهم) : أي بعبادتها " (ابن الجوزي ، ١٤٠٧ ، ج ٧ ، ص ٤٠٠) .

ويقول ابن جرير : (واتبعوا أهواءهم) يقول : " وابتغوا ما دعتهم إليه أنفسهم من معصية الله وعبادة الأوثان من غير أن يكون عندهم بما يعملون من ذلك برهان وحجة " ، (الطبري ، ١٤٠٨ هـ ، مجلد ١٣ ، ج ٢٦ ، ص ٤٨) .

والآية الأولى في المشركين والثانية في المنافقين ؛ ويقول ابن جرير : "وسوَى جلَ ثناؤه بين صفة هؤلاء المنافقين وبين المشركين في أن جميعهم إنما يتبعون فيما هم عليه من فراقهم دين الله الذي ابتعث به محمداً صلى الله عليه وسلم أهواءهم.." . (الطبري ، ١٤٠٨ هـ ، مجلد ١٣ ، ج ٢٦ ، ص٤٩) .

فاتباع الهوى ضلال وانقياد إلى رغبات النفس وما تهواه حتى لو كان ذلك مخالفاً لمراد الله وما أمر به من أوامر ؛ وهو من سلوك المنافقين وصفاتهم ، وهو عائق من العوائق التي يجب الحذر منها ؛ فالنفس دائماً تتمنى وتشتهي ، وقد يكون ذلك معصية لله ؛ فعندما تحقق لها هذه الأمنيات والشهوات التي لا تتحقق إلا بمعصية الله فذلك اتباع للهوى المذموم فيجب على المرء عرض ما تتمناه النفس وتشتهيه على شرع الله فإن وافقه حققه لها ؛ وإن كان ذلك في مخالفته فطمها عما تشتهيه وتتمناه ، وبذلك يمكن له أن يتحرر من هوى نفسه ، وهو بحاجة دائمة إلى هذه المجاهدة .

٥ – كره الدين الحق :

حينما ذكر تعالى الكفار وأعمالهم السيئة من الكفر بالله والصد عن سبيله واتباعهم الباطل وذكر شقاءهم وتعسهم وضلال أعمالهم عقّب على ذلك بقوله : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ) [محمد : ٩] ، فالكراهية لما أنزل الله من قرآن تحول بين المرء الكاره وبين الاستفادة من حقائق القرآن ومواعظه ومؤثراته ؛ بل تحول بينه وبين فهمها وفقه مضمونها ؛ بل إنها تمنعه حتى من مجرد الاستماع إلى ما أنزل الله بإقبال وتجرد ؛ والقلب ليس فيه مكان للشيء وضده ؛ فإذا تعلق بالباطل وأحبه كره الحق ونفر منه ؛ وهذه حال كثير من الخلق تعوقهم كراهيتهم للدين عن تقبل الحق والإذعان له ؛ يقول سيد قطب حول الآية : " وهو تصوير لما يعتمل في قلوبهم ويختلج في نفوسهم من الكراهية لما أنزل الله من قرآن وشريعة ومنهج واتجاه ، وهذا هو الذي يدفع بهم إلى الكفر والعناد والخصومة والملاحاة . وهي حالة كثير من النفوس الفاسدة التي تكره بطبعها ذلك النهج السليم القويم وتصادمه من داخلها بحكم مغايرة طبيعتها لطبيعته ، وهي نفوس يلتقي بها الإنسان كثيراً في كل زمان وفي كل مكان ، ويحس منها النفرة والكراهية لهذا الدين وما يتصل به ؛ حتى إنها لتفزع من مجرد ذكره كما لو كانت قد لدغتها العقارب ! وتتجنب أن يجيء ذكره أو الإشارة إليه فيما تسمع حولها من حديث ! ولعلنا نشاهد في هذه الأيام حالة من هذا الطراز لا تخفى على الملاحظة ! " (قطب ، ١٣٩٤ هـ ، ج ٦ ، ص ٣٢٨٩).

وقد شاهد سيد قطب حالة من هذا الطراز في أيامه ، والآن يشاهد الناس حالات مشابهة في أيامنا هذه ؛ والله المستعان .

٦ – مرض القلوب :

القلوب هي موضع اليقين والإيمان ؛ وإذا تزعزع الإيمان في القلب وحل محله الشك والارتياب فإن القلب في هذه الحالة يكون قد تحول من أن يكون " قلباً سليماً " إلى أن يكون " قلباً سقيماً " ؛ وليس هذا مثل ذاك ؛ ولا مساواة ؛ بل ولا مقاربة ، وقد ذكر تعالى في هذه السورة مرض القلوب وصفاً للمنافقين في موضعين ؛ فقال في الموضع الأول : (وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ) [محمد : ٢٠] ، وقال في الموضع الثاني : (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ) [محمد : ٢٩] ؛ وجاء في تفسير المرض عند ابن جرير في الموضعين بأنه الشك في الدين ؛ فقال بالنسبة للآية الأولى : " يقول رأيت الذين في قلوبهم شك في دين الله

وضعف .. " ، وقال بالنسبة للآية الثانية : " يقول تعالى ذكره أحسب هؤلاء المنافقون الذين في قلوبهم شك في دينهم وضعف في يقينهم ؛ فهم حيارى في معرفة الحق أن لن يخرج الله ما في قلوبهم من الأضغان على المؤمنين فيبديه لهم ويظهره حتى يعرفوا نفاقهم وحيرتهم في دينهم .. " (الطبري ، ١٤٠٨ هـ ، مجلد ١٣ ،ج ٢٦ ، ص ٥٤ ، ٦٠) .

و (أضغانهم) هي كما يقول ابن كثير : " جمع ضغن ، وهو ما في النفوس من الحسد والحقد للإسلام وأهله والقائمين بنصره " (ابن كثير ، ١٤٢١هـ ، ص ١٢٦٦) .

ومرض القلوب هو الشك والارتياب ؛ وهو النفاق إذا حل في القلب فيظهر أثره على الجوارح ، وعلى فلتات اللسان ، وفي اتخاذ المواقف المخالفة لأهل الحق ، والمعادية لهم عداءً مبطناً ؛ ولكنه يظهر على السلوك الظاهري حسداً وحقداً وضغينةً وتخذيلاً وتفريقاً للصفوف في مواقف الجد ونكوصاً عن مواطن الجهاد ومقاتلة الأعداء .

٧ – الطبع على القلوب :

الطبع على القلوب عقوبة يعاقب بها الله سبحانه وتعالى بعض عباده الذين يتنكبون صراطه المستقيم ، وذلك أن من أسباب الطبع على القلوب تكاثر الذنوب ومقارفة المعاصي والتهاون في الطاعات والواجبات ؛ ومن الأدلة على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (من ترك الجمعة ثلاث مرات متواليات من غير ضرورة طبع الله على قلبه) رواه أحمد في مسنده (ابن حنبل ، ١٤٠٢ هـ ، ج ٣ ، ص ٢٣٢) ، وصححه الألباني (الألباني ، ١٣٨٨ هـ ، ج ٥ ، ص ٢٦٨) .

وكما أنه سبحانه يجازي على الحسنة بأحسن منها ؛كما في قوله : (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) [محمد : ١٧] ؛ حيث أن من قصدوا الهداية بإخلاص وعملوا لأجل تحصيلها يثيبهم الله زيادة في الاهتداء والتقوى ؛ فكذلك من استهانوا به وصدوا عن شريعته وارتابت قلوبهم وشكوا في وحدانيته يجازيهم بالطبع على قلوبهم ؛ يقول سبحانه : (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ) [محمد : ١٦] ، لم يكترثوا لما يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم ولم يهتموا به فعوقبوا ببلادة العقول وقلة الفهم ؛ يقول ابن كثير : " يقول تعالى مخبراً عن المنافقين في بلادتهم وقلة فهمهم حيث كانوا يجلسون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستمعون كلامه فلا يفهمون منه شيئاً فإذا خرجوا من عنده (قالوا للذين أوتوا العلم) من الصحابة رضي الله عنهم (ماذا قال آنفا) أي الساعة ، لا يعقلون ما قال ولا يكترثون له (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم) : أي فلا فهم صحيح ولا قصد صحيح " ، (ابن كثير ، ١٤٢١ هـ ، ص ١٢٦٤] . فنتيجة الطبع انعدام الفهم الصحيح ؛ إذ الطبع ختم على القلوب ؛ كما ورد عند ابن جرير في تفسير قوله (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم) قال : " يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين هذه صفتهم هم القوم الذين ختم الله على قلوبهم فهم لا يهتدون للحق الذي بعث الله به رسوله عليه الصلاة والسلام " (الطبري ، ١٤٠٨ هـ ، مجلد ١٣ ،ج ٢٦ ، ص ٥١) .

٨ – الإقفال على القلوب (انقفال القلوب) :

وهو حالة تعتري القلب فيصبح مقفولاً عليه لا يدخل فيه خير ولا يخرج منه الشر الذي قد انطوى عليه سابقاً من كفر أو نفاق أو شك أو ريب وغيره ؛ وقد ورد ذكر هذه الحالة في هذه السورة ؛ حيث يقول سبحانه : (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) [محمد : ٢٤] ، ويرى بعض المفسرين أن المقصود بالإقفال هو الطبع ؛ كما نقل الشوكاني ذلك عن مقاتل ؛ يقول الشوكاني : " .. قال مقاتل : يعني الطبع على القلوب ، والأقفال استعارة لانغلاق القلب عن معرفة الحق ، وإضافة الأقفال للقلوب للتنبيه على أن المراد بها ما هو للقلوب بمنزلة الأقفال للأبواب ، ومعنى الآية : أنه لا يدخل في قلوبهم الإيمان ولا يخرج منها الكفر والشرك ؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد طبع عليها .. " ، (الشوكاني ، ١٤١٢ هـ ، ج ٥ ، ص ٥٥ ، ٥٦) .

ويرى مفسرون آخرون أن الإقفال أشد من الطبع ، وأنه حالة انغلاق مستعصية عن قبول الحق ؛ كما نقل ذلك ابن الجوزي عن مجاهد في تفسيره للآية : " .. وذكر الأقفال استعارة ، والمراد أن القلب يكون كالبيت المقفل لا يصل إليه الهدى ؛ قال مجاهد : الران أيسر من الطبع ، والطبع أيسر من الإقفال ، والإقفال أشد ذلك كله .. " (ابن الجوزي ، ١٤٠٧ هـ ، ج ٧ ، ص ٤٠٨) .

وسواء كان الطبع والإقفال حالة واحدة أو حالتين متفاوتتين فإن القلب في أي منهما يكون واقعاً تحت تأثير عائق كبير يعوق عن معرفة الحق وقبوله ؛ وهي حالة من الحالات المرضية التي تمر بالقلب أو تستمر معه فتمنعه عن التمييز بين الحق والباطل والخير والشر .

٩ – طول الأمل :

طول الأمل من المعوقات ؛ لأنه يكون مدعاة للتسويف ، والتسويف مضيعة للأوقات والطاقات ، والأوقات هي الأعمار ، وما يمضي منها لا يعود فهو ضائع ، وكذلك الطاقات كطاقة الشباب أو القوة البدنية أو المادية أو غيرها لا تستمر في البقاء ؛ وإنما هي زائلة تنقضي ، وما فات منها لا يمكن تداركه ؛ فتكون ذاهبة بغير فائدة أو ذاهبة في معصية ، ومع أن الأمل في أصله عند الإنسان فطرة فطره الله عليها لكي يدفعه به إلى عمارة الكون والاستفادة مما سخر الله له من كنوز الأرض وثرواتها ؛ إلا أن الإنسان لا يدري متى ينقضي أجله ؛ فيذهب إلى ما قدم من عمل صالح أو فاسد ؛ ولذلك فإن استحضار هذه الحقيقة والحيطة من وقوع الأجل قبل حصول الأمل مما يدفع إلى العمل ، وقد نبه إلى هذه الحقيقة رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه فيما أخرجه البخاري بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : " خط النبي صلى الله عليه وسلم خطاً مربعاً ، وخط خطاً في الوسط خارجاً منه ، وخط خططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط ، من جانبه الذي في الوسط ، وقال : هذا الإنسان وهذا أجله محيط به ، أو قد أحاط به ، وهذا الذي هو خارج أمله ، وهذه الخطط الصغار الأعراض ، فإن أخطأه هذا نهشه هذا) (البخاري ، ١٤٠١ هـ ، ج ٧ ، ص ١٧١) ، وفي كتاب أمثال الحديث للرامهرمزي : (.. هذا الإنسان ، وهذا الأجل ، يتعاطى الأمل فيختلجه الأجل دون الأمل) (الرامهرمزي ، ١٣٨٨ هـ ، ص ١١٤) .

فقد كان عليه الصلاة والسلام يحذر من أن يختلجنا الأجل قبل بلوغ الأمل . ومعنى ذلك أن التمادي في الآمال والانسياق وراءها يتسبب في الفتور والتراخي عن فعل الخير ؛ وفي قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ) [محمد :٢٥] ما يدل على ذلك ؛ فقوله : (وأملى لهم) ؛ أي : " مدَ لهم في الآمال والأماني " كما يقول الزمخشري ، ويقول الشنقيطي : " وأصل الإملاء الإمهال والمد في الأجل .. " ، ويقول : " لأن طول الأمل من أعظم أسباب ارتكاب الكفر والمعاصي " (الشنقيطي ، ١٤٠٣ هـ ، ج ٧ ، ص ٥٨٥) .

ويقول : " ومعنى إملاء الشيطان لهم وعده إياهم بطول الأعمار ، كما قال تعالى : (يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) ، وقيل إن الضمير في قوله : (وأملى لهم) عائد إلى الله ؛ والمعنى هو أملى لهم ، أي أمهلهم إمهال استدراج " ، والله أعلم . (الشنقيطي ، ١٤٠٣ هـ ، ج ٧ ، ص ٥٨٦) .

وفي كلتا الحالين فإن " الإملاء " يتسبب في طول الآمال والأماني ؛ وهو معوق من المعوقات النفسية . ويقول السعدي وهو في معرض تفسيره لقوله تعالى : (وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ . طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ) [محمد : ٢٠ ، ٢١] : إن المرء " إذا تعلقت نفسه بالمستقبل ضعف عن العمل بوظيفة وقته وبوظيفة المستقبل ، أما الحال فلأن الهمة انتقلت عنه إلى غيره ، والعمل تبع للهمة ، وأما المستقبل فإنه لا يجيء حتى تفتر الهمة عن نشاطها فلا يعان عليه " ، ويقول : " إن العبد المؤمل للآمال المستقبلة مع كسله عن عمل الوقت الحاضر شبيه بالمتألي الذي يجزم بقدرته على ما يستقبل من أموره فأحرى به أن يخذل ولا يقوم بما هم به ووطن نفسه عليه ، فالذي ينبغي أن يجمع العبد همه وفكرته ونشاطه على وقته الحاضر ، ويؤدي وظيفته بحسب قدرته ، ثم كلما جاء وقت استقبله بنشاط وهمة عالية مجتمعة غير متفرقة مستعيناً بربه في ذلك ، فهذا حري بالتوفيق والتسديد في جميع أموره " (السعدي ، ١٤٢١ هـ ، ص ٧٨٨) .

١٠ – الوهن والضعف :

الوهن ضعف وتخاذل نفسي ينتقل أثره إلى سلوك الإنسان وحركته الفعلية فيصيبها الشلل أو العجز ، وقد حذرنا تعالى من الوهن في قوله سبحانه : (فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) [محمد : ٣٥] ، والوهن كما يقول الشوكاني : (فلا تهنوا) ؛ " أي تضعفوا عن القتال ، والوهن الضعف " (الشوكاني ، ١٤١٢ هـ ، ج ٥ ، ص ٥٩] ، ويقول ابن جرير (فلا تهنوا) : " يقول تعالى ذكره فلا تضعفوا أيها المؤمنون بالله عن جهاد المشركين وتجبنوا عن قتالهم " (الطبري ، ١٤٠٨ هـ ، مجلد ١٣ ،ج ٢٦ ، ص ٦٣) .

وهذا المعنى ذكره كثير من المفسرين ، والوهن من العوائق النفسية التي يمتد أثرها ليشل السلوك الحركي ؛ وقد نهانا الله عن أن نتصف بالوهن مذكراً لنا جل وعلا بالمقومات التي ترتفع بنا عن ذلك بقوله :(وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم) .

١١ – البخل :

من فعل الخير البذل في سبيل الله والبذل ابتغاء وجه الله ، ووجوه البذل في هذا الميدان كثيرة ؛ ويعوق الإنسان في كثير من الأحوال عن هذا الخير الشح والبخل ؛ إذ هو من المعوقات الكبيرة ؛ حيث يقول سبحانه : (وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [الحشر : ٩] ، وفي هذه السورة تحذير من هذا العائق ؛ يقول جل وعلا : (هَاأَنتُمْ هَؤُلاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) [محمد : ٣٨] ، فما يعوق عن النفقة في سبيل الله إنما هو البخل كما في هذه الآية ، والنتيجة أن من يبخل بماله فلا يبذله إنما يبخل على نفسه بالثواب فلا يحصل عليه .

١٢ – الخوف والجبن :

كما أن البخل عائق عن بذل المال ابتغاء وجه الله ؛ فكذلك الجبن عائق عن بذل الجهد والروح في سبيل الله ؛ وهو عائق يرتبط بضعف الإيمان ، وهو من صفات المنافقين ؛ كما ذكر الله تعالى بقوله : (وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ) [محمد : ٢٠] ، والخطاب في قوله تعالى : (ينظرون إليك) موجه للنبي صلى الله عليه وسلم ، ويقول ابن جرير في معنى قوله : (نظر المغشي عليه من الموت) : " خوفاً أن تغزيهم وتأمرهم بالجهاد مع المسلمين ، فهم خوفاً من ذلك وتجبناً عن لقاء العدو ينظرون إليك نظر المغشي عليه الذي قد صرع ؛ وإنما عنى بقوله (من الموت) من خوف الموت ، وكان هذا فعل أهل النفاق " (الطبري ، ١٤٠٨ هـ ، مجلد ١٣ ،ج ٢٦ ، ص ٥٤) وقال ابن كثير : (نظر المغشي عليه من الموت) " أي : من فزعهم ورعبهم وجبنهم من لقاء الأعداء " (ابن كثير ، ١٤٢١ هـ ، ص ١٢٦٥) .

وهم لا يكتفون بذلك ولكنهم يخذلون ويرجفون ويثبطون وينشرون الشائعات المخذلة والأخبار المحبطة لغيرهم ؛ بل ويشقون الصف ويضمرون الوقيعة بالمسلمين ويتربصون بهم الدوائر (عليهم دائرة السوء) ، وهم هم يتتابعون على هذه الأنماط السلوكية المخزية في كل جيل ، وقد فضح الله نفاقهم ومؤامراتهم في مواضع من كتابه في سورة التوبة وغيرها ، رد الله شرورهم إلى نحورهم .

نتائج البحث :

يتبين من خلال العرض السابق للسورة وما فيها من معاني ومضامين ودروس تربوية ، ومن خلال تحليل ما أوردته كتب التفسير حول المعاني والمفاهيم والأقوال ذات العلاقة بالمؤثرات التربوية يمكن إجمال أهم النتائج المستخلصة من ذلك فيما يأتي :

١. سورة محمد من السور القصيرة نسبيا ؛ فهي ثمان وثلاثون آية في ورقتين ؛ أي أربعة أوجه فقط ؛ ومع ذلك فإنها تضمنت من المفاهيم والمضامين والمؤثرات الإيجابية والسلبية الشيء

الكثير ؛ منه ما عرضته الدراسة ، ومنه ما لم تتطرق إليه ، وربما يتصدى له باحثون آخرون عاجلا أو آجلا .

٢. من المؤثرات الإيجابية في السورة الإيمان ، والخطاب المحبب للمؤمنين بصفة الإيمان فيهم ، واتباع الحق ، والعمل الصالح ، والتقوى ، والشهادة في سبيل الله ، والثواب العاجل في الدنيا ، والثواب الأخروي .

٣. من المؤثرات السلبية المنطوية على الردع والزجر في السورة علم الله المحيط بعباده ، التوبيخ والإنكار ، العقاب العاجل في الدنيا ، والعقاب الأخروي .

٤. من الثواب الدنيوي العاجل في السورة إصلاح البال للمؤمنين ، ونصر الله للمؤمنين وتثبيت أقدامهم ، وزيادة المهتدين هداية وتقوى ، ومعية الله لعباده المؤمنين بالتوفيق والتسديد والرعاية ، وتوفيته جل وعلا لأعمال عباده وعدم نقصان أجورهم .

٥. من الثواب الأخروي في السورة تكفير السيئات ، والمغفرة من الله ، وإيتاء المؤمنين أجورهم ، والجنة وهي الحافز الأكبر ، وما فيها من أنواع النعيم .

٦. من العقاب الدنيوي العاجل في السورة التعس للكافرين ، وإضلال الأعمال ، والتهديد بالعقاب التدميري العاجل لهم ، والتهديد بمباغتة الساعة لهم ، والتهديد باللعن والطرد والإبعاد وحرمانهم من نعم السمع والبصر ، والتعذيب عند الموت بضرب الوجوه والأدبار من قبل الملائكة ، والتهديد بفضح المنافقين وهتك أستارهم ، ثم التهديد للمخاطبين بالإهلاك إن ارتدوا وتولوا وأعرضوا واستبدالهم بخير منهم .

٧. من العقاب الأخروي في السورة حبوط العمل ، وحرمانهم من المغفرة ، والقرار في نار جهنم ، والخلود فيها ، مع ما فيها من أنواع العذاب .

٨. من المعوقات التي تعوق وتثبط عن فعل الخير المذكورة في السورة الشيطان ، وشياطين الإنس واتباع الباطل ، واتباع الهوى ، وكره الدين الحق ، ومرض القلوب ، والطبع عليها ، والإقفال عليها ، وطول الأمل ، والوهن والضعف ، والبخل ، والخوف والجبن .

٩. وفي ختام هذا البحث نحمد الله تعالى ، ونسأله أن يوفق الجميع للعلم بكتابه والعمل به ؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

مراجع البحث

١. الشامي ، صالح بن أحمد . التربية الجمالية في الإسلام ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٨ هـ
٢. الشنقيطي ، محمد الأمين المختار الجكني . أضواء البيان ، الرياض : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ١٤٠٣ هـ .
٣. ابن القيم ، محمد بن أبي بكر . الفوائد ، القاهرة : المكتبة القيمة ، د. ت. .
٤. ابن القيم ، محمد بن أبي بكر . الرسالة التبوكية (زاد المهاجر إلى ربه) جده : دار المدني ، ١٤٠٦ هـ .
٥. الشوكاني ، محمد بن علي . فتح القدير ، بيروت : دار الفكر ، ١٤١٢ هـ .
٦. قطب ، سيد . في ظلال القرآن ، بيروت : دار الشروق ، ١٣٩٤ هـ .
٧. ابن كثير ، إسماعيل بن عمر . تفسير القرآن العظيم ، الرياض : دار السلام ، ١٤٢١ هـ .
٨. الطبري ، محمد بن جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٨ هـ
٩. السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٢١ هـ .
١٠. ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي . زاد المسير في علم التفسير ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٧ هـ .
١١. ابن حنبل ، أحمد بن محمد . المسند ، استانبول : دار الدعوة (تصوير عن طبعة الحلبي) ١٤٠٢ هـ .
١٢. الألباني ، محمد ناصر الدين . صحيح الجامع ، بيروت المكتب الإسلامي ، ١٣٨٨ هـ .
١٣. البخاري ، محمد بن اسماعيل . الجامع الصحيح ، استانبول : دار الدعوة ، ١٤٠١ هـ .
١٤. الرامهرمزي ، الحسن بن عبد الرحمن . كتاب أمثال الحديث (تحقيق أمة الكريم القرشية) ، حيدر أباد : مطبع الحيدري ، ١٣٨٨ هـ .
١٥. الألباني ، محمد ناصر الدين . صحيح سنن الترمذي ، الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٨ هـ .
١٦. الألباني ، محمد ناصر الدين . صحيح سنن ابن ماجة ، الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٧ هـ .
١٧. جلو ، الحسين جرنو محمود . أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٤ هـ .
١٨. السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر . تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ، عنيزة : مركز صالح بن صالح الثقافي ، ١٤٢٠ هـ .
١٩. محمود ، علي عبد الحميد . التربية في القرآن الكريم ، القاهرة : دار التوزيع والنشر الإسلامية ، ١٤١٧ هـ .
٢٠. المقري ، أحمد محمد . تربية النفس الإنسانية في ظل القرآن الكريم ، جده : دار حافظ ، ١٤٠٩هـ .
٢١. النحلاوي ، عبد الرحمن . التربية بالآيات ، بيروت : دار الفكر المعاصر ، ١٤٠٩ هـ .